الأمم المتحدة

E/C.19/2022/9

المجلس الاقتصادي والاجتماعي

Distr.: General
2 February 2022
Arabic
Original: Spanish

المنتدى الدائم المعني بقضايا الشعوب الأصلية

الدورة الحادية والعشرون

نيويورك، 25 نيسان/أبريل – 6 أيار/مايو 2022

مناقشة بشأن موضوع "الشعوب الأصلية، والأعمال التجارية، والاستقلال الذاتي ومبادئ حقوق الإنسان المتعلقة بالعناية الواجبة، بما في ذلك الموافقة الحرة المسبقة المستنيرة"

حقوق الشعوب الأصلية من حيث صلتها بمصفوفة الطاقة العالمية*

مذكرة من الأمانة العامة

موجز

عيّن المنتدى الدائم المعني بقضايا الشعوب الأصلية، في دورته العشرين، داريو خوسيه ميخيا مونتالفو، العضو في المنتدى، لإجراء دراسة عن حقوق الشعوب الأصلية من حيث صلتها بمصفوفة الطاقة العالمية، وذلك بغية تقديمها إلى المنتدى في دورته الحادية والعشرين.

* لقد كان للمساهمات المقدمة من قيادات الشعوب الأصلية ومنظماتها ومن الأكاديميين والخبراء الاستشاريين المستقلين أهمية حاسمة في إجراء هذه الدراسة. وجديرة بالتقدير أيضا مشاركة كارلوس ماريو غونزاليس شاراسكييل وكارلوس فلاديمير زامبرانو رودريغيز. وكل الشكر كذلك لبيشوفليش هيلفسفيرك ميزيريور ومكتب برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في كولومبيا على ما قدماه من دعم في هذا الصدد.

020322 170222 22-01273 (A)

الرجاء إعادة استعمال الورق

مقدمة

1 - لقد تسبب النموذج الراهن لإنتاج الطاقة وتوزيعها واستهلاكها على الصعيد الدولي (مصفوفة الطاقة) في حيف معرفي واقتصادي وسياسي تجاه الشعوب الأصلية لأنه تجاهل رؤية هذه الشعوب بشأن الطاقة، وحقها في ملكية أراضيها وآلياتها الخاصة للمشاركة، وحقوقها في التوزيع والانتفاع على أساس من الإنصاف.

2 - وبات الاستنفادُ التدريجي للوقود الأحفوري، بوصفه المصدر الرئيسي للطاقة، وتفاقمُ آثار تغير المناخ يتطلبان من الحكومات والشركات والمجتمع إدخال تغييرات على أنماط إنتاج الطاقة واستهلاكها تتجه نحو أشكال تعزز مقومات الاستدامة في الحياة على كوكب الأرض. وأصبح تحول مصفوفة الطاقة صوب مصادر أخرى غير الفحم والنفط والغاز ضرورة ملحة. وعلى الرغم من إحراز تقدم في بعض البلدان، فإن عملية التحول هذه لا تزال جد متأخرة.

3 - والدول والشركات المعنية بإنتاج وتوزيع الطاقة مدعوة إلى احترام حقوق الإنسان عند وضع هذه الممارسات، وإدراج رؤى مختلفة بشأن إنتاج واستخدام طاقة الكوكب. وفي هذه المناقشة، لا مناص من تناول معايير الاعتراف بالتنوع ونهج التنمية البديلة، التي تشمل معايير العلاقة مع الطبيعة وتتوخى ضمان التوازن في الحاضر ولما فيه مصلحة الأجيال المقبلة.

4 - وفي محافل مختلفة على كل من الصعيد العالمي والإقليمي والقطري، أعربت الشعوب الأصلية عن موقفها إزاء التنمية: فالشعوب الأصلية ليست عقبة أمام التنمية أو أمام الحصول على السلع والخدمات الأساسية، وإنما لديها رؤيتها الخاصة بشأن التنمية أو مفهوم العيش الكريم. وفي رؤيتها هذه للتنمية الذاتية، ينبغي إدارة السلع والخدمات الأساسية وفقا للهياكل المجتمعية لكل شعب، والاسترشاد في ذلك بمبادئ الانسجام والتوازن مع الطبيعة ومع الأجيال الماضية والمقبلة.

5 - وفي سياق تحديد وتطوير مصادر جديدة لإنتاج الطاقة، يمثل إدراج معايير الاعتراف بالشعوب الأصلية والتحاور معها أمرا أساسيا وهاما. وتملك الشعوب الأصلية نسبة كبيرة من الأراضي التي تشكل المحميات الطبيعية في العالم؛ وإن كان من المفارقات أن تكون هذه الشعوب من أكثر السكان ضعفا وأن تعيش في ظروف يطغى عليها الفقر المدقع.

6 - والشعوب الأصلية، شأنها شأن نسبة كبيرة من الفئات السكانية الضعيفة على الصعيد العالمي، لديها احتياجات ملحة من حيث ضرورة الحصول على الطاقة وغير ذلك من الخدمات والسلع المرتبطة بها؛ ولكنها تلتزم، في الأساس، بالمشاركة على قدم المساواة في المناقشات الدائرة بشأن أفضل الطرق لإنتاج الطاقة على نحو يُدمج رهانات الانسجام والتوازن مع الطبيعة في المصادر والأشكال الجديدة لإنتاج الطاقة وتوزيعها والحصول عليها.

7 - وقد شهد المؤتمر السادس والعشرون للأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ، الذي عقد في عام 2021، مناقشات هامّة انصبّت على الحاجة إلى تحديد أهداف في عملية تغيير مصفوفة الطاقة على نطاق عالمي؛ وذلك انطلاقا من حقيقة أن حالة التلوث الراهنة الناجمة عن إنتاج واستهلاك الوقود الأحفوري هي أحد الأسباب الرئيسية لتغير المناخ الذي يهدد حياة الإنسان على الأرض. ورغم تعهد عدة بلدان بالعمل تدريجيا على تقليص مصادر الطاقة القائمة على الفحم ووقف تمويل المشاريع

الاستغلالية في البلدان النامية، فإن حكومات البلدان التي تُعزى إليها المسؤولية عن أكبر نسبة من التلوث العالمي لا تزال بحاجة إلى بذل جهود كبيرة للحد من آثار تغير المناخ واحتواء التدهور البيئي.

8 - وتسعى هذه الدراسة إلى تحديد الجوانب المركزية للعلاقة بين الشعوب الأصلية والجهات الفاعلة الرئيسية (الدول والشركات) المعنية بالتحولات التي تشهدها مصفوفة الطاقة الحالية. وستنظر الدراسة أيضا في تدابير إعادة تنشيط الاقتصاد في مرحلة ما بعد الجائحة. وفي هذا الصدد، أعلنت بعض الحكومات تخفيف شروط منح التراخيص لاستكشاف واستغلال الموارد الطبيعية، بما في ذلك مصادر الطاقة المتجددة، في الوقت الذي حاولت فيه توخي المزيد من المرونة في عمليات التشاور والموافقة المسبقة الحرة المستنيرة. وتُختتم الدراسة بتقديم توصيات لتنمية هذا القطاع على نحو يكفل احترام وتعزيز حقوق الشعوب الأصلية.

أولا - الطاقة من منظور الشعوب الأصلية

9 - الطاقة والحياة والروح مفاهيم مترادفة. والتساؤل في معظم الشعوب الأصلية عن ماهية الطاقة هو التساؤل عن ماهية الحياة، أو ماهية الروح، إذ لا يوجد انفصام بين المسائل التقنية والاقتصادية والدينية والعلمية، بل تُفهم كلها بطريقة متكاملة انطلاقا من الرؤية الكونية التي يؤمن بها كل شعب. وفي الوقت الحاضر، في المجتمع الغربي، يختلف تفسير هذه المفاهيم باختلاف المجالات التقنية - الاقتصادية أو العلمية أو الدينية.

10 - ووفقا لرؤية شعب أرهواكو، على سبيل المثال[1]:

> الضوء له أب وأم، وهو وليد توحدهما. كما يفسر على أنه اندماج بين المذكر والمؤنث لتوليد الضوء الأب (...) ذلك الضوء الذي يُنير. وعندما نتساءل من المنظور الثقافي، كيف ظهرت الشمس التي أشرقت، وأضاءت، ومنحت النور؟ نجيب بأن الشمس تمنح النور لأنها عندما وُلدت امتلأت ذهبا، وامتلأت نورا، ولذلك فإنها تشرق، وقد وُلدت لأن لديها أبا وأما.
>
> وجميع الكائنات، بل وجميع الأشياء والمواد الموجودة في الطبيعة، والتي تنقسم من المنظور العلمي إلى كائنات جامدة وكائنات حية، هي من منظور تقاليدنا، كائنات تنبض بالحياة: من حجارة وماء وهواء ونباتات وحيوانات، كلها تنبض بالحياة وتتضح بالألوان. وجميع كائنات الطبيعة لها آباء وأمهات من اللون الأبيض واللون الأصفر واللون الأحمر واللون الأسود. تلك هي الألوان الأولية بالنسبة لنا، وهي أيضا ألوان مليئة بالحياة، ومليئة بالروحانية، ولديها خصائصها الفريدة. وهذه الخصائص تكمل بعضها البعض لتتكوّن ألوان أخرى وتتنوع الأشكال. ولذلك، عندما نتحدث من المنظور الروحاني، فهذا يعني أننا ممثلون بخصائص جسدية وبذاكرة وبروح لا تراها العين المجردة، وبقوة تمنحنا الطاقة للتحرك. وهذا التمثيل يكشف أننا من نفس التكوين وأن طريقة وجود كل كائن تتوقف على تلك الخصائص الأصلية وتركيباتها المتعددة.

11 - وبالنسبة لشعب غونا - دول[2]:

(1) مقابلة مع جيريمياس توريس، السلطة الأصلية لشعب أرهواكو. سييرا نيفادا دي سانتا مارتا، كولومبيا.

(2) مقابلة مع أباديو غرين ستوسيل، من شعب غونا دول.

عندما تكون في رحم الأم، ينصـــهر هناك تاريخ الأســـلاف بأكمله: في رحم الأم يكمن أيضـــا رحم الجدة ورحم الجدة الكبرى، وهكذا دواليك عبر كل الأجيال. وفي قلب كل تلك الأرحام المتعاقبة عبر التاريخ يظهر المرء كإنسان. كل شعوب العالم تأتي من نفس الطاقة وتظل نفس هذه الطاقة الموجودة في الرحم تتغذى من الكون المرتبط بالأرض: هنا تكمن طاقتنا. ولهذا ثمة في اللغات الأصـــلية كائن يســـمى بالحركة. لماذا؟ لأننا نتحرك عبر الكون، نتحرك عبر الأرض وهذه الأرض تدور.

وبالتالي، فإن الطاقة موجودة لأن الكون موجود، والأرض موجودة وعلى هذه الأرض ... ماذا يوجد على الأرض؟ كلنا مجتمعون. ما يسمى بالنفط هو بالنسبة لنا الدم، المشيمة؛ أما الفحم والذهب والفضـــة فهي عمودنا الفقري؛ والهواء الذي نتنفســـه، هو الحركة، هو الطاقة التي توجد في جســـمنا وتمنحنا القدرة على المشـــي والتحرك والتفكير والشـــعور. وبدون القوة المســـتمدة من الدم لا يمكننا المشي.

وفي الرؤية الكونية لبعض الشعوب الأصلية، ما البحر سوى السائل السلوي للأم. ومن هذا المنظور، فإن كل ما يؤثر في البحر، يؤثر في رحم الأم. وعلى الرغم من كل الأضـــرار التي لحقت بـه، لا يزال البحر ينتج الأغذية بكل حُب. ومن ثم يمكننا القول إن الطاقة هي الحب، لأن الأرض كلها حب، والشـــمس كلها حب، وكذلك النباتات والنجوم والقمر، كل شـــيء في الكون حُبّ، والأمر كذلك أيضـا في الأرض التي نعيش عليها، والمشيمة، وما يسمى بالنفط، وما يسمى بالفحم، كل ذلك حب صِرف، لأنها أجسام من أمنا الأرض. وهذا يعني أننا نحن الشعوب الأصلية قد اســـتفدنا من ذلك كله، ولكن بطريقة متناغمة. والمعرفة التي تختزنها شـــعوبنا تتيح إقامة علاقة تعايش مع الطاقة.

ما هي الطاقة التي نقترح لتيســـير الوصـــول إلى هذه الطاقات المســـتمدة من الطبيعة والكون؟ إنه الغناء، إنها الاحتفالات التي يلقنها الأجداد، مثل اســـتخدام النار للتواصـــل مع الكون، ومع الأرض. وللنار أهمية كبيرة بالنسبة لكثير من الثقافات، لأنها تمثل الطاقة، والطاقة هي الحب، والطاقة هي النقاء، هي التوازن، وهي العلاقة القائمة بين جميع الكائنات.

12 - إن فهم الشـــعوب الأصـــلية للطاقة كمرادف للحياة والروح يبوّئها مكانة غير مكانة السـلعة كما هو سائد الآن في المجتمع الغربي. فالطاقة كسلعة، معرضـة للخصـخصـة وخاضـعة لديناميات العرض والطلب وتراكم رأس المال، لا تترك هامشا كبيرا لوضع سياسات وتدابير عالمية تقوم على العدالة والوئام والتوازن بين البشر والكائنات الموجودة في الطبيعة.

ثانيا - المصفوفة الاستعمارية ودعمها لمصفوفة الطاقة

13 - إن قيام الدولة الحديثة ظاهرة حديثة نسبيا مقارنة بالأعراف القانونية والمؤسسية والثقافية المستمدة من الرؤى الكونية للشعوب الأصلية في جميع أنحاء العالم. ومعظم الدول تتشاطر ذلك الماضي الاستعماري الذي ورّثها هياكلها القانونية والاقتصادية ونظمها في الحكم.

14 - وقد اتسمت العلاقة بين الشـعوب الأصـلية والدول بفرض منظومات من القيم الخاصـة بمجتمعات أوروبية الأصـل على الشـعوب الأصـلية. ويتعلق الأمر بعملية تاريخية تخللتها منعطفات مختلفة اضـطرت

الشعوب الأصلية إلى الكفاح، في محافل مختلفة، من أجل تحقيق الاعتراف بتنوع القيم كاستراتيجية لوقف إبادة الشعوب التي لا تزال على قيد الحياة.

15 - وفهم تطور هذه العلاقة عبر التاريخ من منطلق الوجود المسبق والتنوع أمر مهم لمعالجة الأزمات المعقدة التي نشهدها اليوم في مجالات البيئة والطاقة والأخلاقيات والاقتصاد والسياسة والروحانيات.

16 - فمن جهة، ثمة فرضية الوجود المسبق والمستمر للشعوب الأصلية في أراضيها منذ ما قبل بدء العملية الاستعمارية وما تلاها من تشكيل الدول الوطنية، وبالتالي لا يمكن الاستعاضة عن الحقوق المكفولة في قوانينها الأصلية على أساس فكرة الشرعية الغربية المستمدة من نموذج خارجي. فالشعوب الأصلية ترى أن الحقوق المتعلقة بالأراضي هي حقوق متأصلة في رؤاها الكونية، وبالتالي فهي لم تنشأ بإدراجها في الدساتير السياسية والنصوص القانونية للدول الغربية. ومن وجهة نظر الشعوب الأصلية، لا يُنظر إلى الاعتراف الدستوري بحقوقها على أنه منحٌ لتلك الحقوق وإنما بوصفه اعترافا بهذا الوجود المسبق في تلك الأراضي.

17 - وتستند الشعوب الأصلية إلى هذا الوجود المسبق في نضالها من أجل الحفاظ على أراضيها، ليس فقط كمساحة مادية وإنما كعنصر حيوي يدعم الرؤى الكونية الخاصة بكل منها؛ ومن هنا نشأت المنازعات من أجل الحصول على الاعتراف الكامل بالحق في الاستقلال الذاتي والحكم الذاتي وتقرير المصير كضمان لبقائها كشعوب، وكرؤى كونية، وثقافات وتقاليد نابعة من هويتها.

18 - ومن جهة أخرى، يمثل تنوع منظومات القيم عاملا حاسما في العلاقات المعقدة بين الشعوب الأصلية والدولة، لأن كل شعب من الشعوب الأصلية له منظومته المختلفة من القيم النابعة من رؤيته الخاصة للكون. والرؤى الكونية للشعوب الأصلية لا تحدد فقط مشروعية معاييرها الثقافية والاجتماعية والسياسية، بل وتحدد أيضا آفاق الحياة الجماعية في الحاضر والمستقبل. وبعبارة أخرى، فإن رؤيتها للتنمية، القائمة على العلاقة مع الأرض والطبيعة والمجتمعات الأخرى، تستمد جذورها من الرؤية الكونية التي حافظ عليها كل شعب من الشعوب الأصلية على مر التاريخ.

19 - وإذا اتخذنا الأسس المبينة هنا إطارا مرجعيا، يمكننا أن نفهم أن النزاعات المتعلقة باستخدام الأراضي تنشب بسبب عدم الاعتراف بمركز الوجود المسبق كمصدر لحقوق الشعوب الأصلية وبالتنوع كوسيلة لممارسة هذه الشعوب حقوقها.

20 - وقد أنشئ هيكل التقسيمات الإدارية المحددة في أشكال الدولة الحديثة (الإدارات أو الولايات الاتحادية أو البلديات أو المقاطعات أو غيرها من التقسيمات السياسية والإدارية) في تجاهل للترتيبات الإقليمية الموجودة مسبقا لدى الشعوب الأصلية. وقد ظلت الشعوب الأصلية تتخبط في شباك الخدع القانونية المتكررة التي تفرضها عليها التقسيمات السياسية - الإدارية الخارجية، لتمنعها من المشاركة في صنع القرارات التي تمس شؤون أراضيها وسكانها.

21 - والأساس الذي تستند إليه الشعوب الأصلية في كفاحها يتلخص في المبادئ الدنيا التي يجوز لأي شعب في العالم أن يطالب بها من القوى التي يرزح تحت نير استعمارها: احترام ثقافاتها، والاعتراف بملكيتها للأراضي التي ما زالت تحتفظ بها، واستقلالها الذاتي للحفاظ على هياكلها السياسية والتنظيمية والإدارية الخاصة بها، وحقها في البقاء ملمومة الشمل كشعوب.

22 - وفي العديد من البلدان، جُردت الشعوب الأصلية من أراضيها، مع الحط من قدر ثقافاتها ولغاتها، واستبعاد أفرادها من الأنشطة السياسية والاقتصادية. وقد وُضعت الأنظمة التي تحكم سياسات الطاقة في العالم دون إشراك الشعوب. حيث تمت صياغتها ضمن إطار مجموعات من الشركات المهيمنة.

23 - وتستند مصفوفة الطاقة (التقليدية) التي تم تطويرها حتى الآن إلى معايير تستنسخ وتعزز علاقات استعمارية في جوهرها. فقد منحت الدول، بناء على الافتراض القانوني الذي يخولها الملكية المطلقة للأراضي الواقعة داخل حدودها الوطنية والحق في إدارتها، تصاريح لأفراد من الخواص تخولهم الحق في استكشاف الموارد الطبيعية الموجودة في تلك الأراضي واستغلالها والاتجار بها، دون مراعاة الحقوق التاريخية للسكان الأصليين. ويمثل هذا النموذج الاستخراجي الأساس الذي استُند إليه في تطوير مصفوفة الطاقة الحالية، والتي كانت الشعوب الأصلية في مقدمة ضحاياها على الصعيد العالمي. وقد ساهمت مصفوفة الطاقة في ترسيخ الخروق الجائرة إزاء الشعوب الأصلية على المستويات المعرفية والسياسية والاقتصادية.

24 - ومن المهم النظر إلى النموذج الاقتصادي الاستخراجي من منظور واسع، لأن المنازعات التي تنشب بين الدول والشعوب الأصلية بشأن الأرض لا تقتصر على التعدين الأحفوري أو التعدين في مجال الطاقة. فقد كان لاستخراج المعادن آثار ضارة على الأراضي، لا سيما على الأنسجة الاجتماعية حيث أدى إلى انقسامات داخلية ونزاعات أخرى مرتبطة بالعسكرة ووفود العمال ذوي العادات والشواغل الدخيلة. وحتى خلال مرحلة التحول في مجال الطاقة، يستمر التعدين الذي لا يزال يلحق الضرر بالنظم الاجتماعية - البيئية، حيث سيزداد الطلب على هذه المعادن كمدخلات لمصفوفة الطاقة الجديدة.

25 - ويقوم الاقتصاد العالمي على استخدام الوقود الأحفوري والمعادن كمصادر رئيسية للطاقة؛ وهذا يعني أن المناقشات العالمية التي تقودها الدول والشركات تعطي الأولوية لمنظور الاستقرار الاقتصادي على حساب الحاجة إلى كفالة استدامة الحياة على كوكب الأرض.

26 - وأزمة المناخ العالمية تترتب عليها عواقب خطيرة فيما يتعلق باستمرار الحياة في الأقاليم، ولا سيما في أراضي الشعوب الأصلية. ومن باب توضيح بعض الجوانب المتصلة بتغير المناخ وآثاره في العقود الأخيرة، تجدر الإشارة إلى ضياع أكثر من 295 بليون ساعة عمل، وتسجيل حوالي 000 345 حالة وفاة في صفوف الأشخاص الذين تزيد أعمارهم عن 60 عاما بسبب ارتفاع درجات الحرارة، وتعرض 569,5 مليون شخص لخطر الفيضانات[3].

27 - إن تشريد السكان هو أحد العواقب المترتبة على تحوّل الأراضي إلى مساحات غير قابلة للسكن. وبحلول عام 2050، سيكون 216 مليون شخص في حالة تشرد، ما سيؤدي إلى خفض القدرة الإنتاجية والنيل من الرصيد الثقافي بسبب التخلي عن الأراضي[4]، ومن المتوقع أن تشهد أمريكا اللاتينية تشرّد نحو 17 مليون شخص.

(3) Sébastian Seibt. *COP26: el impacto del calentamiento global en 10 cifras*. انظر: https://www.france24.com/es/medio-ambiente/20211104-infografia-cifras-impacto-calentamiento-global.

(4) Julieth Riaño. *Cambio climático y desplazamiento, los efectos del clima en la movilidad humana*. انظر: https://www.france24.com/es/programas/migrantes/20211104-cambio-climatico-desplazamiento-migrantes-pobreza.

28 - وفي الوقت الراهن، قام ما لا يقل عن 48 بلدا من مختلف أنحاء العالم بزيادة القدرة على إنتاج الطاقة الكهرمائية. وسجلت بلدان شرق آسيا والمحيط الهادئ أكبر زيادة في تلك القدرة، حيث أضيف 9,2 جيغا واط في عام 2020. وتلتها بلدان في أمريكا الجنوبية (4,9 جيغا واط) ووسط وجنوب آسيا (4,0 جيغا واط) وأوروبا (2,2 جيغا واط) وأفريقيا (1,0 جيغا واط) وأمريكا الشمالية (0,6 جيغا واط) وأمريكا الوسطى (0,6 جيغا واط). وفي نفس السياق، يلاحَظ إحراز تقدم في توليد الطاقة من المصادر المائية في بلدان مثل الصين، التي سجلت أكبر زيادة في القدرة الإنتاجية بتركيب 540 8 ميغا واط، تليها البرازيل (866 3 ميغا واط) وباكستان (487 2 ميغا واط) وتركيا (085 1 ميغا واط) وأنغولا (668 ميغا واط) وطاجيكستان (605 ميغا واط) وإكوادور (556 ميغا واط) والهند (535 ميغا واط) والنرويج (419 ميغا واط) وكندا (401 ميغا واط). وتحولت البرازيل إلى ثاني أكبر منتج للطاقة الكهرمائية من خلال القدرة التشغيلية المركبة، حيث أنتجت 104,1 جيغا واط في عام 2018، لتتجاوز بذلك الولايات المتحدة، التي بلغت قدرتها الإنتاجية 102,7 جيغا واط[5].

ثالثا - التحول في مجال الطاقة والشعوب الأصلية

29 - إن ضرورة التحول إلى مصادر جديدة لتوليد الطاقة مثل الطاقة الشمسية، وطاقة الرياح، والطاقة الكهرمائية، من بين مصادر أخرى، تسمى بالطاقة النظيفة، ليست بالمسألة الجديدة. ونظرا لاعتماد هذه الطاقة على استخدام الموارد الطبيعية وارتباطها المباشر بها، فإنها تسمى بالطاقة النظيفة، لكن هذا الارتباط لا ينطوي دائما على منافع، ولا سيما بالنسبة للسكان الذين يعتمدون على الموارد الطبيعية للبقاء على قيد الحياة[6].

30 - ففي عام 2010، كان هناك بالفعل في جميع أنحاء العالم ما لا يقل عن 000 12 محطة كهرمائية أُنشئت في أراضي الشعوب الأصلية أو أثرت عليها. وأثار معظم هذه المشاريع مشاكل تتعلق بعدم الحصول على الموافقة المسبقة والتشاور قبل صياغة المشاريع وتصميمها، وبالتوزيع العادل والديمقراطي لفوائدها. وأجريت دون إشراك الشعوب الأصلية بوصفها مالكة للأراضي المعنية. وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى بلدان مثل إثيوبيا والبرازيل وبيرو وغيانا وماليزيا[7].

31 - وقد صيغ مفهوم التحول في مجال الطاقة باعتباره بديلا لمصادر إنتاج الطاقة وليس تغييرا في نموذج العلاقة مع المجتمعات المحلية. بمعنى أن هذا التحول يستند إلى استمرار المشاريع العملاقة للاستثمار الرأسمالي على أساس أن الأراضي مملوكة للدولة وأن سلطات الحكومات الوطنية لها السلطة المطلقة لتقرير مستقبل السكان.

(5) انظر: José A. Roca. *La energía hidroeléctrica mundial aumentó su capacidad en 21,8 GW en 2018*: https://elperiodicodelaenergia.com/la-energia-hidroelectrica-mundial-aumento-su-capacidad-en-218-gw-en-2018/.

(6) Lee Roy Cano Torres y Luis Alejandro Rodríguez Cruz. *El impacto social de las energías limpias en comunidades vulnerables. La energía eólica en la comunidad zapoteca de Juchitán de Zaragoza, Oaxaca*. Ambiente y Desarrollo, vol. 24, núm. 46.Pontificia Universidad Javeriana, 2020.

(7) المرجع نفسه.

32 - وقد كان أحد أشكال الطاقة البديلة والمتجددة الذي اكتسب أكبر قدر من الشعبية في العقود الماضية هو الطاقة الكهرمائية. ولئن لم يكن هذا النوع من الطاقة يتسبب في انبعاثات من غازات الدفيئة، فإن له آثارا سلبية على ديناميات النظم الإيكولوجية، إذ يهدد التنوع البيولوجي، ويؤثر في نوعية المياه ومصائد الأسماك ودورات الزراعة وجمع الأغذية. ويؤدي بناء المحطات الكهرمائية في أراضي الشعوب الأصلية دون إشراك هذه الشعوب على النحو المناسب إلى تدهور بيئي واجتماعي وسياسي، كما تنشأ عنه ضغوط تتعلق بالأمن القانوني وملكية الأراضي، الأمر الذي يؤدي في العديد من الحالات إلى التشريد القسري للمجتمعات المحلية. ويتسبب أيضا في نشوب أو تفاقم النزاعات الداخلية، بما في ذلك المنازعات المتعلقة بالأراضي. وفي هذا السياق، قُتل المئات من قادة الشعوب الأصلية والرواد في مجال البيئة.

33 - ورغم الآثار السلبية المترتبة على بناء السدود الكهرمائية في أراضي الشعوب الأصلية، فإن مجتمعات الشعوب الأصلية المتضررة لا تستفيد في كثير من الأحيان من تغطية الإمدادات الكهربائية، وتظل تعيش في ظل ظروف يسودها الفقر وإهمال الدولة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن السدود الكهرمائية غالبا ما تكون بمثابة المنفذ الذي تتسرب من خلاله الضغوط بشأن استخدام الأراضي لأغراض اقتصادية تتنافى مع مصالح الشعوب الأصلية، مثل إنشاء مناطق للزراعة الأحادية المحصول أو المشاريع السياحية أو توسيع رقعة الأراضي الزراعية.

34 - وبالنظر إلى شكل العلاقة التي أقامتها سلطات الدولة والشركات لتنفيذ مشاريع الطاقة الشمسية أو الريحية أو الكهرمائية في أجزاء مختلفة من العالم، نشأت وتفاقمت الانقسامات والنزاعات الداخلية بين أفراد المجتمعات المحلية أنفسهم، الذين تتباين مواقفهم عموما بين مؤيدٍ ومعارضٍ لإنشاء مشاريع الطاقة.

35 - وهذا النموذج من العلاقات ينطوي على مخاطر تهدد الشعوب الأصلية لأن السلطات العامة تنتهج أسلوبا في التعامل يقوم على الممارسات الاختزالية أو الاستيعاب الثقافي، استنادا إلى توحيد إجراءات القانون الأحادي الثقافة الذي لا يمثل مبدأ الاعتراف المنصوص عليه في المعايير الدولية للاعتراف بالشعوب الأصلية.

36 - وقد أثيرت في عدة أجزاء من العالم شكاوى بشأن الضغوط التي تمارَس على الشعوب الأصلية نتيجة تأثير المتعاقدين (سواء كانوا أشخاصا طبيعيين أم اعتباريين) على قرارات السلطات العامة المسؤولة عن الاعتراف بشرعية سلطات الشعوب الأصلية، بغرض منح الأفضلية لتلك التي تؤيد مشاريع الطاقة. وهذا النوع من التصرفات التي تقرر (أو تفرض) سلطات الشعوب الأصلية يقوض حق الشعوب الأصلية في تقرير مصيرها وسلامتها وهويتها الثقافية، ومن ثم، مبدأ التعددية في الديمقراطية الحديثة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن إصدار حكم خارجي بشأن الشرعية والمشروعية يمكن أن تكون له عواقب وخيمة على بقاء الشعب المعني، بالنظر إلى جهل تلك الجهات الخارجية للقيم المهددة في نزاع معين.

37 - والإجراءات التي تتخذها السلطات في مواجهة النزاعات الداخلية والنزاعات التي تنشب بين الثقافات المختلفة يمكن أن تقوض حق الشعوب الأصلية في البقاء وتقرير المصير. وهذا واقع تصدى له القانون الدولي إذ نص على الحق في التشاور المسبق، وهو حق أساسي، وعلى مبدأ الموافقة الحرة المسبقة والمستنيرة المنصوص عليه في إعلان الأمم المتحدة بشأن حقوق الشعوب الأصلية. وسبب وجود مثل هذه الصكوك هو تجنب الاستيعاب الثقافي أو فرض الرؤى العالمية، بما يشمل أشكال تنظيم السلطة السياسية في العلاقات بين الناس، وكذلك العلاقة بين الناس والبيئة.

38 - والوقت الذي يستغرقه تطور حياة الشعوب الأصلية لا ينحصر في فترة العقود ولا يمكن قياسه في ضوء الأحكام المستخدمة في التدخلات الخارجية، سواء كانت هذه التدخلات إدارية أو قضائية، ولذلك فإن الأضرار أو الآثار المترتبة عليها يمكن أن تتجسد في التشرذم التدريجي للثقافة والهوية.

39 - وكمثال على هذه الحالات، تفيد الدراسات التي أجريت بشأن مشاريع طاقة الرياح في المكسيك[8] وجود علاقة مضطربة مع المجتمعات المحلية، مع وجود أدلة على وقوع انتهاكات لحقوق الإنسان، وممارسات التخويف وسلب الأراضي والفساد، واختلال عادات الأكل والأنشطة الإنتاجية، ما يؤدي إلى فقدان الهوية وتفكك النسيج الاجتماعي[9].

40 - وفيما يتعلق بالآثار ذات الصلة بالانقسامات والبيئة وغياب التشاور والموافقة وغير ذلك، لا توجد هيئة دولية مختصة لرصد هذه الآثار واتخاذ التدابير التصحيحية اللازمة.

41 - ويعزى ذلك جزئيا إلى إلقاء عبء الإجراءات الرامية إلى التخفيف من حدة الأزمة البيئية على عاتق المجتمعات المحلية والمجتمع بصفة عامة، وهو ما يعفي الحكومات والشركات نوعا ما من المسؤولية. وتتمثل المخاطر التي ينطوي عليها هذا النموذج في احتمال توسيع الفجوات الاجتماعية والاقتصادية، ما يجعل بعض الفئات أكثر عرضة من غيرها لآثار تغير المناخ.

42 - ومشاركة الشعوب الأصلية في الخطط المتعلقة بتحول مصفوفة الطاقة تخضع لإرادة الحكومات الوطنية. وفي البلدان التي يجري فيها وضع خطط التحول في مجال الطاقة منذ 20 عاما أو أكثر، لم يؤخذ بعين الاعتبار وجود الشعوب الأصلية ولا أُخذت بعين الاعتبار مشاركتها الفعلية وفقا للمبادئ الدولية المتعلقة بالاعتراف بالاستقلال الذاتي وتقرير المصير وملكية الأراضي وتصورات الشعوب الأصلية للتنمية الذاتية. ولئن كانت بعض البلدان قد أوردت إشارات إلى الشعوب الأصلية، فإن هذا الإدماج لا يعدو أن يكون تقريريا أو رسميا.

رابعا - تفاقم التحديات بسبب الجائحة

43 - خلال هذه الجائحة، تبين أن انخفاض معدل الحصول على الكهرباء قد أثر على الحقوق الأساسية الأخرى للشعوب الأصلية في جميع أنحاء العالم. فقد حالت الجائحة دون تمكن الأطفال والمدرسين من الشعوب الأصلية من الارتقاء إلى مستوى التوقعات التي حُددت فيما يتعلق بالدراسة في بيئات افتراضية. وفي الأماكن غير المشمولة بالتغطية الكهربائية، يتعذر الحصول على معدات الدعم الطبي الأساسية اللازمة لعلاج الحالات الصحية الحرجة، كما تتعذر الاتصالات بالهواتف المحمولة ويصعب الوصول إلى المعلومات عن طريق الإذاعة أو التلفزيون. كما تفاقمت الصعوبات التي تعترض سبل الحصول على المياه، وتأثرت نظم الإنتاج، ووسائل حفظ الأغذية وتوليد القيمة المضافة للمنتجات. وعدم توافر البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات يؤثر أيضا على طلاب الجامعات الشباب من الشعوب الأصلية الذين عادوا إلى

(8) المرجع نفسه.

(9) تعد منطقة واخاكا موطنا لأكبر ممر للرياح في المكسيك يقع على امتداد برزخ تيهوانتيبيك (إذ يستأثر بنسبة 55,8 في المائة من مجموع القدرة الإنتاجية لطاقة الرياح في البلد، وفقا للبيانات المقدمة من الجمعية المكسيكية لطاقة الرياح (2018)). وهذه الأراضي مشتركة، أساسا، مع شعب زابوتيك الأصلي، وهو شعب له أكبر حضور في واخاكا، إذ يمثل نحو 36 في المائة من سكان الشعوب الأصلية في الولاية.

أراضيهم واضطروا لوقف دراستهم بسبب افتقارهم إلى الموارد المالية أو إمكانية الاتصال المناسب بالشبكة الإلكترونية، كما يتعذر عليهم الحصول على التكنولوجيات الجديدة وتتأثر قدرتهم التنافسية وأداؤهم الوظيفي في مواجهة متطلبات امتلاكهم مهارات وكفاءات جديدة في عالم مترابط.

44 - وفي سياق تدابير الطوارئ المتخذة لإدارة الجائحة، أعطت الحكومات الأولوية لمجالات الاقتصاد التي اعتبرتها ضرورية لتحقيق الانتعاش الاقتصادي. وهكذا، شجعت الدول مشاريع الصناعات الاستخراجية والطاقة والزراعة - الصناعية التي تؤثر على أراضي الشعوب الأصلية. ولم تكن الأنشطة ذات الأثر البيئي الأكبر، باعتبارها محركا للانتعاش الاقتصادي، مشمولة بتدابير التوقّف الاحترازي أثناء الجائحة، على الرغم من آثارها الجسيمة على حق مجتمعات الشعوب الأصلية وسلطاتها في المشاركة الفعلية، ما ترتبت عليه عواقب تشمل التلوث البيئي والأمراض المرتبطة به، وتغيرات في الدورات المناخية، وآثار في محاصيل الكفاف. وإن تقييد الحق في التشاور بشأن هذه المشاريع يتعارض مع عمليات إعمال الحقوق المتعلقة بالأراضي والدفاع عن تلك الحقوق، ويمثل بالتالي تدبيرا تراجعيا لا ينسجم مع حقوق الإنسان.

45 - وخلال فترة الجائحة، أعلنت بعض الحكومات تخفيف شروط الحصول على تراخيص لاستكشاف واستغلال الموارد الطبيعية، بما في ذلك مصادر الطاقة المتجددة، وحاولت وضع تدابير لزيادة المرونة في عمليات التشاور والموافقة الحرة المسبقة والمستنيرة؛ وذلك في تجاهل لحقوق الشعوب الأصلية، ومن بينها حقها في سلامة أراضيها. كما أن انخراط الشعوب الأصلية في الانتفاع من فوائد استراتيجيات تحقيق الانتعاش الاقتصادي غير واضح، على الرغم من أن مجتمعاتها المحلية هي من بين أكثر الفئات تضررا من الجائحة ومن الفجوة التكنولوجية والجوع وقلة فرص الوصول إلى الهياكل الأساسية للصحة العامة.

46 - وفي إكوادور، على سبيل المثال، رفضت عدة منظمات للشعوب الأصلية في منطقة الأمازون الوسطى إقرار مشاريع قوانين بشأن التشاور المسبق قُدمت دون موافقتها. وأبلغ توباك فيتيري، زعيم شعب كيشوا في سارایاکو، لجنة البلدان الأمريكية لحقوق الإنسان أن الأنشطة الاستخراجية في إكوادور لم تتوقف أثناء فترة الجائحة؛ بل إنها ازدادت في بعض الحالات، عقب قرار الحكومة، بموجب المرسوم التنفيذي 1017 المؤرخ 16 آذار/مارس 2020، إعلان تلك الأنشطة بوصفها أساسية و/أو استراتيجية. وبالإضافة إلى ذلك، أعلنت وزارة الطاقة والموارد الطبيعية غير المتجددة عن إصدار اللوائح المتعلقة بالمشورة الحرة المسبقة والمستنيرة فيما يتعلق بأنشطة التعدين، وذلك بمرسوم تنفيذي. وقد وُضعت هذه اللوائح دون مشاركة الشعوب الأصلية والسكان المنحدرين من أصول أفريقية في البلد (E/C.19/2021/9، الصفحة 15).

47 - ومن المشاكل الرئيسية في تحديد تأثير مصفوفة الطاقة على الشعوب الأصلية ندرة المعلومات والبيانات المصنفة وفقا لنوع المشاريع المضطلع بها داخل البلدان. وتقوم الحكومات بمنح التراخيص وتوفير مناطق واسعة لتنفيذ مشاريع الطاقة دون أي مراعاة لعامل وجود مجتمعات الشعوب الأصلية أو أراضيها في تلك المناطق. وعندما تتناهى المشاريع إلى علم المجتمعات المحلية، يكون قد أُنجز بالفعل استثمار اقتصادي كبير، ولذلك تفضل الدول التلويح باتخاذ إجراءات إدارية بدلا من التصرف على نحو يمس بمصالحها المالية.

48 - ولئن تسببت الجائحة في تعميق التفاوتات وفي العديد من الآثار الاقتصادية والنفسية والمجتمعية، فقد أدت أيضا إلى انخفاض انبعاثات غازات الدفيئة في عام 2020، أثناء فترة الإغلاق، ولا سيما الانبعاثات الناجمة عن الوقود الأحفوري والفحم، بنسبة 5,4 في المائة، وهو ما يعادل 1,6 بليون طن من الكربون. وفي

عام 2021، ونتيجة للتدابير الرامية إلى تحقيق الانتعاش الاقتصادي التدريجي، ارتفعت نسبة الانبعاثات مرة أخرى بنسبة 4,9 في المائة لتناهز المستويات المسجلة في عام 2019[10].

49 - وتسعى المناقشات الرسمية بشأن آثار تغير المناخ، علاوة على ما تتسم به من نزعة قوية لحماية شركات التعدين والطاقة، وهي المسؤولة الرئيسية عن التلوث العالمي، إلى إلقاء عبء المسؤولية والتضحية على عاتق أكثر شرائح السكان وقطاعات المجتمع ضعفا. وفي نوع من الابتزاز الاجتماعي، توصف الشعوب الأصلية بأنها معارضة لحلول تغير المناخ بسبب دفاعها عن حقوقها المتعلقة بالأراضي ورؤيتها الخاصة للتنمية.

خامسا - الحاجة إلى عقد عالمي جديد مع الشعوب الأصلية

50 - إن إلقاء اللوم وعبء التضحية على عاتق أضعف الفئات البشرية المستبعدة من سياسات الطاقة ليس هو السبيل المناسب لمعالجة الأزمة الناجمة عن تفاقم ظاهرة تقلب المناخ. ومن الضروري وضع عقد يتضمن تنفيذ معايير الاعتراف بالتنوع، ولا سيما حقوق الشعوب الأصلية فيما يتعلق بالأراضي ونظم المعرفة والحكم الذاتي، على نطاق عالمي.

51 - ويتمتع أكثر من 476 مليون نسمة من سكان الشعوب الأصلية في 90 بلدا، يمثلون 6,2 في المائة من سكان العالم، بتنوع كبير في نظم المعرفة الفريدة وبعلاقة خاصة مع أراضيهم ومفاهيم إنمائية مختلفة تستند إلى رؤاهم الكونية وأولوياتهم الخاصة. ويمكن تعميم النظرة الشاملة والمتكاملة للشعوب الأصلية بشأن القضايا المرتبطة بمصفوفة الطاقة - والتي لا تؤثر على حقوق الشعوب الأصلية فحسب، بل وتؤثر أيضا على حالة الإنسانية ككل - في محافل صنع القرار على الصعيد العالمي.

52 - وفي الوقت الحاضر، أُحرز بعض التقدم في إدماج التعددية واحترام التنوع الثقافي كمبدأين من مبادئ العلاقات الدولية، وهو ما يتيح إمكانية إقامة نموذج لعلاقة متناغمة ومتوازنة. ويمثل هذا النموذج بالاقتران مع الالتزامات التي قطعتها الدول في مجال حقوق الإنسان تحولا جذريا في العلاقات بين الدولة والشعوب الأصلية من سياسة تقوم على أساس الاختزال أو الاستيعاب، إلى سياسة الاعتراف والحوار بين الثقافات والتعايش الأفقي[11]. وهذا التحول الجذري يتجاوز مجرد تقبّل وجود الشعوب الأصلية ضمن حدود الولاية القضائية للدول ليشمل إمكانية وضع قواعد وسياسات وإنشاء مؤسسات بغرض إيجاد مجتمعات أكثر عدلا واستدامة، في إطار تصورات متنوعة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

53 - وإن حق الشعوب الأصلية في الاستقلال الذاتي وتقرير المصير، بصرف النظر عن تشكيلة الدول التي توجد فيها أراضيها، حقٌ معترف به في صكوك دولية مثل العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، وليس رهنا بإرادة فرادى الدول، والتمتع به يتيح للشعوب الأصلية حرية تحديد أساليب تنميتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية.

(10) Silvia Solano-Quesada y Edgar Ortiz-Malavassi. Metodología de medición de la huella de carbono para edificaciones en Costa Rica y su aplicación en el módulo habitacional *Trópika*. *Tecnología en Marcha*. Vol. 29, No. 3. Págs. 73–84.

(11) تهدف الصكوك الدولية إلى صون حقوق الشعوب الأصلية وبقائها المادي والثقافي، كما هو الشأن في الاتفاقية 169 لمنظمة العمل الدولية.

54 - والواقع أن اتفاقية الشعوب الأصلية والقبلية لعام 1989 (رقم 169) لمنظمة العمل الدولية تمثل أداة مركزية في هذا التحول الجذري باعتبارها تُلزم الدول باتخاذ الخطوات اللازمة لضمان حقوق الشعوب الأصلية عن طريق التحول والتكيف والحماية والاحترام.

55 - ويتمثل أحد أشكال اعتراف محكمة البلدان الأمريكية لحقوق الإنسان بالاستقلال الذاتي للشعوب الأصلية في الاعتراف بحقها في المشاركة في القرارات العامة دون الحاجة إلى الانضمام إلى حزب معين وانطلاقا من مؤسساتها الخاصة[12]. ويرتبط هذا الحق ارتباطا وثيقا بالاعتراف بالشخصية القانونية للشعوب الأصلية، ما يخولها حق انتخاب ممثليها واتخاذ القرارات التي تؤثر في مجتمعاتها المحلية بصورة مستقلة[13]. والواقع أن الشعوب الأصلية هي أيضا أشخاص جماعية من أشخاص القانون الدولي ولا تخضع للقيود التي تفرضها حدود الدول[14].

56 - وأصبحت الدعوة التي وجهها المنتدى الدائم في عام 2021 بشأن ضرورة إحراز تقدم نحو وضع عقد عالمي جديد يشمل مساهمات الشعوب الأصلية وحقوقها[15] تكتسي أهمية متزايدة في مسائل من قبيل المناقشة المتعلقة بمصفوفة الطاقة. وبعد مرور أكثر من عقد على اعتماد إعلان الأمم المتحدة بشأن حقوق الشعوب الأصلية، وسبع سنوات منذ الاتفاق في الأمم المتحدة على أهداف التنمية المستدامة في عام 2015، من الواضح أن هناك حاجة إلى تعزيز المشاركة الفعالة للشعوب الأصلية في قضايا من قبيل مصفوفة الطاقة، لأن قضايا هذه الشعوب وشواغلها ومساهماتها لا تقتصر على مشاكلها الداخلية؛ فهذه الشعوب هي أيضا جهات سياسية فاعلة لديها إرادة وخبرة وقدرة على المساهمة في إيجاد حلول هيكلية للتحديات التي تواجه البشرية. ويجب أن يكون التحول الجذري أو النموذجي للعلاقات تحولا عمليا من خلال الاعتراف بالمساهمات القيّمة التي تقدمها الشعوب الأصلية للبشرية، ولا سيما في مجال حماية الحياة والحفاظ عليها بجميع أبعادها. وهذا يعني إقامة علاقة تقوم على الحوار بين الثقافات، والحوار الأفقي والاعتراف المتبادل بين الشعوب والدول ومنظومة الأمم المتحدة.

57 - إن التساؤل عما إذا كانت معارف الشعوب الأصلية معارف لها أساس علمي أم لا، هو تساؤل لا صلة له بالموضوع؛ إذ بات من الواضح أن الآثار المحددة المترتبة على تحقيق التنمية استنادا إلى مركزية الإنسان والتراكم وقواعد التجارة قد أفضت بنا إلى نقطة حرجة تهدد بقاء الحياة البشرية على هذا الكوكب. ومن الواضح أيضا أن التنوع البيولوجي محفوظ في أراضي الشعوب الأصلية، وأن المحميات الطبيعية التي تدعم الحياة على كوكب الأرض لا تزال قائمة، وأنه لا حاجة إلى بحوث علمية اقتحاميه لإثبات استدامة ثقافاتها وأساليب حياتها المتوائمة مع الطبيعة وأهمية تعميمها على نطاق عالمي.

(12) *قضية ياتاما ضد نيكاراغوا*. ويرتبط هذا الحق ارتباطا وثيقا بالاعتراف بالشخصية القانونية للشعوب الأصلية.

(13) محكمة البلدان الأمريكية لحقوق الإنسان، *قضية شعب ساراماكا ضد سورينام*، *وقضية شعبي كالينيا ولوكونو ضد سورينام*، *وقضية شعب كيشوا الأصلي في سارایاكو ضد إكوادور*.

(14) محكمة البلدان الأمريكية لحقوق الإنسان، *ملكية حقوق الأشخاص الاعتباريين في نظام البلدان الأمريكية لحقوق الإنسان (تفسير ونطاق المادة 1-2، فيما يتعلق بالمواد 1-1 و 8 و 11-2 و 13 و 16 و 21 و 24 و 25 و 29 و 30 و 44 و 46 و 62-3 من الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان، وكذلك المادة 8-1 ألف وباء من بروتوكول سان سلفادور)*. الفتوى OC22/16 المؤرخة 26 شباط/فبراير 2016. السلسلة ألف، رقم 22، الفقرات 72-84.

(15) ضمان ألا يتخلف أحد عن الركب، السكان الأصليون والدعوة إلى عقد اجتماعي جديد، انظر https://www.un.org/ar/observances/indigenous-day.

58 - وتمثل رؤية الحقوق الجماعية قيمة تسهم بها الشعوب الأصلية في المناقشات الحالية بشأن الحلول والمدخلات الممكنة لمعالجة الأزمة البيئية العالمية، لأنها تتيح مراعاة الجوانب المرتبطة بالذاكرة والهوية والأراضي ونظم الحكم، كشرط لاستمرار الحياة في ظروف كريمة. ولا يمكن تفسير ذلك على أنه امتياز وإنما هو اعتراف متأخر، لأن هذه الشعوب الأصلية خضعت على مدى قرون لسياسات استعمارية وعنصرية تقوم على الاستيعاب والاستبعاد.

59 - ومن جهة أخرى، كان الكوكب في عام 1985 يواجه أزمة بيئية ناجمة عن استنفاد طبقة الأوزون نتيجة لاستخدام مركبات الكلوروفلوروكربون. وفي عام 1989، أُحرز تقدم بوضع بروتوكول مونتريال بشأن المواد المستنفدة لطبقة الأوزون على الرغم من معارضة دوائر الصناعة الكيميائية القائمة على المركبات الكلوروفلوروكربونية. وفي عام 2018، أبلغت الإدارة الوطنية للملاحة الجوية والفضاء في الولايات المتحدة الأمريكية (ناسا) عن انخفاض كبير في المواد الكيميائية التي تدمر طبقة الأوزون ودخول الطبقة الأوزون مرحلة التعافي[16].

60 - والتحدي الذي تواجهه البشرية اليوم لتغيير مسار أزمة المناخ العالمية هو على نفس القدر من الجسامة إن لم يكن أخطر، ولكن هناك أمل في انتهاج العمل الجماعي كاستراتيجية لمعالجة الأزمات العالمية. وفي المؤتمر السادس والعشرين للأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ، المعقود مؤخرا، تعهد 77 بلدا بالعمل تدريجيا على وقف تشغيل مصانعها المنتجة للفحم، ووافقت 25 من هذه البلدان على وقف تمويل مشاريع الوقود الأحفوري في بلدان أخرى بحلول عام 2022. وعلى الرغم من هذه الإعلانات الهامة، لا تزال هناك حاجة إلى اتخاذ المزيد من الإجراءات للحفاظ على ارتفاع درجة الحرارة عند 1,8 درجة ومنع حدوث زيادة قدرها 2,7 درجة مئوية، على نحو ما أشارت إليه الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ التابعة للأمم المتحدة.

61 - وقد سلطت مراكز البحوث في جميع أنحاء العالم الضوء على الحاجة إلى حشد العزائم في مواجهة المخاطر التي تواجهها الإنسانية لاستمرار الحياة على هذا الكوكب. وفي عام 2009، نشر مركز ستوكهولم للتكيف مع تغير المناخ ورقة تعرض "حدود تحمّل الكوكب"، فيما يتعلق بتغير المناخ، وتغير أنماط استخدام الأراضي، وفقدان التنوع البيولوجي، والتغيرات في دورات بعض المغذيات، واستخدام المياه العذبة، وتحمض المحيطات، وتلوث الغلاف الجوي، وانتشار النفايات والملوثات التي تُحدث اختلالات في الأسس الوراثية والجزيئية للحياة واستنفاد طبقة الأوزون[17].

62 - ومن الواضح أن الأنشطة البشرية، وما تنطوي عليه من ديناميات استهلاك الطاقة والمنتجات، قد دفعتنا إلى تجاوز العديد مما يسمى بحدود تحمّل الكوكب، لدرجة بلوغ نقطة اللاعودة فيما يتعلق باختفاء شعوب بأكملها وتزايد الكوارث.

(16) Daniel González Cappa. Cambio climático: cómo la humanidad salvó la capa de ozono (y qué lecciones nos deja para la lucha contra el calentamiento global). Véase: https://www.bbc.com/mundo/noticias-58982415.

(17) Rockström, J., W. Steffen, K. Noone, Å. Persson et al., "Planetary boundaries: exploring the safe operating space for humanity", *Ecology and Society*, vol. 14, No. 2, art. 32 (2009). https://www.stockholmresilience.org/research/planetary-boundaries.html.

63 - إن الوفاء بتعهد "عدم ترك أحد خلف الركب"، في إطار تحول عادل وشامل في مجال الطاقة يعني إعطاء الأولوية للجهود التي تتوخى تحسين رفاه الإنسان وصحته وقدراته، ووضع مشاريع تقوم على التكيف مع آثار تغير المناخ والحفاظ على الانسجام والتوازن مع الطبيعة، وتجنب التدابير التي من شأنها أن تلحق الضرر بثقافات الشعوب الأصلية ونظم حكمها ووحدتها، مع العمل على تعزيز الطابع الديمقراطي في مجال الاستثمارات. وفي حين ستختلف مسارات التحول باختلاف الاحتياجات الخاصة للبلدان والمناطق، فإنها يجب أن تكون جميعها عادلة وتشاركية وقائمة على التعددية القانونية. ومن شأن ذلك أن يسهم في تسريع العمل الجماعي لتحقيق أهداف التنمية المستدامة واتفاق باريس. ويجب أن يقوم العقد الاجتماعي الجديد على مشاركة حقيقية وشراكة تعزز تكافؤ الفرص وتحترم حقوق الجميع وكرامتهم وحرياتهم. ويشمل ذلك حق الشعوب الأصلية في المشاركة في صنع القرار، وهو عنصر أساسي لتحقيق المصالحة بين الشعوب الأصلية والدول[18].

64 - وينبغي إيلاء اهتمام خاص لحقوق الشعوب الأصلية في سياق تنفيذ الهدف 7 المتعلق بسبل الحصول على الطاقة. وكما أوضحنا هنا، فإن مناقشة مسألة الطاقة من منظور الشعوب الأصلية لا تقتصر على مسألة الحصول على الكهرباء، رغم أهميتها، بل وتشمل حق الشعوب الأصلية وأهليتها للمساهمة في جوانب مثل محور تركيز سياسة الطاقة على نطاق عالمي، وسياسات العلاقات مع المجتمعات المحلية، وتقاسم منافع الطاقة وسبل الحصول على الخدمات المتعلقة بالطاقة.

سادسا - التوصيات

65 - سعيا لعدم تكرار المظالم الناجمة عن مصفوفة الطاقة التي تركز على الوقود الأحفوري وعدم تعميقها في استراتيجيات وخطط تغيير مصفوفة الطاقة، لا بد من تنفيذ مبادئ الاستقلال الذاتي وتقرير المصير وحق الشعوب الأصلية في المشاركة بطريقة فعالة ومجدية. وينبغي لوكالات الأمم المتحدة أن تشجع المناقشات الرفيعة المستوى مع الشعوب الأصلية بشأن هذه المسألة الهامة، مع توخي القدر اللازم من الاستعجال الذي تتطلبه الظروف الراهنة نتيجة لوتيرة تغير المناخ وآثاره، وكذلك الآثار المترتبة على تلوث الكوكب.

66 - ومن المهم المضي قدما في إنشاء محافل إقليمية للعمل المشترك بين الوكالات من أجل النظر في المبادئ الواجبة التطبيق من أجل تحقيق المشاركة الفعالة للشعوب الأصلية في الخطط الوطنية لتحويل مصفوفة الطاقة.

67 - ويجب إحراز تقدم في وضع إطار دولي للعمل بين الشعوب الأصلية ومنظومة الأمم المتحدة لتيسير مناقشة مساهمات الشعوب الأصلية والصعوبات التي تصادفها في مواجهة التغيرات المستحدثة في مصفوفة الطاقة.

(18) ضمان ألا يتخلف أحد عن الركب، السكان الأصليون والدعوة إلى عقد اجتماعي جديد، انظر https://www.un.org/ar/observances/indigenous-day.

68 - ومن المهم التعجيل بإجراءات تنظيم وتنفيذ منهاج عمل المجتمعات المحلية والشعوب الأصلية، الذي اعتمد في مؤتمر الأطراف؛ على نحو يتيح تنسيق عمليات مختلفة على الصعيد العالمي بمشاركة فعالة من الشعوب الأصلية.

69 - ويجب على وكالات الأمم المتحدة التي تتولى قيادة تنفيذ عقد الأمم المتحدة لإصلاح النظم الإيكولوجية أن تضاعف جهودها بطريقة منسقة بحيث تندرج المناقشات التي تجري والإجراءات التي تُتخذ في إطار هذه الاستراتيجية ضمن نهج شامل، وتصبّ في تحويل مصفوفة الطاقة العالمية دون الإضرار بأراضي الشعوب الأصلية أو حقوقها، مع الحرص، بالأحرى، على كفالة مشاركتها الكاملة والفعالة.

70 - وينبغي للأمم المتحدة أن تعمل على تيسير إجراء دراسات تتناول الآثار والفرص المتاحة للمشاركة ووضع نماذج مستدامة تقوم على مشاركة الشعوب الأصلية في مبادرات التحول في مجال الطاقة.

71 - ويجب على الدول أن تتخذ تدابير عاجلة لضمان المشاركة الكافية والفعالة في تصميم وتنفيذ الخطط الوطنية لتحويل مصفوفة الطاقة. وإذا كانت قد شرعت بالفعل في صياغة هذه الخطط أو البرامج الوطنية، فينبغي لها أن تتخذ خطوات لتدارك احتمال عدم مشاركة الشعوب الأصلية.